ان الاضطهاد المخيف الذي مارسه الاقطاعيون والنظام القيصري ولد مقاومة عنيفة جبارة عند الشعب الذي أظهر منذ القدم حبه للحرية من خلال نضاله ضد الغزاة الأجانب وضد مضطهديه في داخل البلاد . وليس من قبيل المصادفة ان تتميز الانتفاضات الشعبية في روسيا بالعنف والقوة والشمول .

لقد انعكس شمول الحركة الثورية في روسيا وقوتها وسموها الفكري في ابداع الكتاب الواقعيين الروس العظماء . وهذا مايفسر لنا الصفات الأساسية في افضل اعمال الكتاب الروس الأدبية : الأصالة والبحث عن الحقيقة والوطنية وخدمة قضايا تحرر الشعب وسعادته .

ويتضح لمن يتتبع تطور الأدب الروسي سيل هذا الأدب نحو الواقعية منذ القرن الثامن عشر . وهذا امر حدده تنامي الانتفاضات الفلاحية التي ادت في سبعينات القرن الثامن عشر الى ثورة الفلاحين بقيادة بوغاتشوف كما حدده نمو الوعي القومي عند الشعب الروسي بسبب الانتصارات التاريخية التي احرزتها القوات الروسية في اوروبا وانتقال الدولة الروسية الى مصاف الدول الأوروبية العظمى .

وعلى الرغم من ذلك فان اعمال الكتاب الروس في اواخر القرن الثامن عشر والسنوات العشر الأولى من القرن التاسع عشر لم تكن اعمالا واقعية نقدية ولا رومانتيكية ثورية بل ان مايجده المرء فيها ليس سوى علائم تحدد مستقبل تطور الأدب الروسي اللاحق .

ان تطور الواقعية النقدية والرومانتيكية الثورية في روسيا يرتبط ارتباطا وثيقا بالحرب الوطنية التي خاضتها روسيا في عام ١٨١٢ ضد نابليون ، وبالحركة التي قادها أول جيل من الثوريين الروس .

فالحرب الوطنية لم تظهر قوة الشعب الروسي وعظمته فحسب ، بل اظهرت ايضا ، بوضوح هائل ، التناقض الفظيع بين قدرات جماهير روسيا الكادحة وبين وضعها البائس في ظل الحكم القيصري .

في هذه الفترة الزمنية بدأت الحياة الابداعية لعدد من الكتاب والشعراء الروس وعلى رأسهم غريبويديف وريلييف وبوشكين الشاب .

فمنذ أواخر العقد الأول من القرن التاسع عشر يشرع غريبوييدف في كتابة عمله الكوميدي الخالد « مصيبة بسبب العقل » هذه الكوميديا التي عرت النظام الاجتماعي المعاصر